حزب الله والمشروع الإقليمي الإيراني
« العلاقة والدور »

علي حسين باكير - الأردن

باحث في العلاقات الدولية

ملخص البحث:

تُثير صورة «حزب الله» وإيران لغطًا كبيرًا بين الناس؛ وذلك بسبب غياب النظرة الدقيقة لحقيقة المشروع الإيراني في المنطقة، ولطبيعة العلاقة التي تربط «حزب الله» بإيران، والدور الذي يؤديه في هذا الإطار.

إن الكثيرين يعرفون حقيقة مشاريع التقسيم الأمريكية في المنطقة العربية والإسلامية بمسمياتها المتعددة، والهدف منها، بالمقابل هناك مشروع إقليمي إيراني ذو صبغة إمبراطورية قومية يتبلور شيئًا فشيئًا، يتميز بسريّة وكتمان شديدين، ويلعب على التناقضات متغطيًا بعمامة وثوب إسلاميين.

وكخطوة في إنجاح مشروعها الإقليمي كان لإيران الدور الأبرز في ولادة «حزب الله» الذي نشأ في ظل الحروب العنيفة التي شهدتها لبنان، وتكفّلت إيران بالدعم المالي للحزب، والذي كان العامل الأوّل في اجتذاب المقاتلين إلى صفوفه، فحرصت إيران على الاهتمام به، وتنصيع سيرته؛ للاستفادة منها فيما بعد في خدمة مشروعها لتصدير مفاهيم الثورة الإيرانية بكافّة مضامينها للدول العربية، واستخدام ما يسمى «القوة الناعمة» أو «البرستيج» للترويج للحزب على نطاق الوطن العربي كخطوة أولى، وكون الحزب لبنانيًا والعدو المفترض «إسرائيل» فهذا سيسهّل كثيرًا مهمة إيران في اختراق الشعوب، فضلاً عن استخدام الحزب كورقة عالية للمساومة على أيّ وضع من الأوضاع المصيرية التي تتعلق بإيران.

هذا الدور الذي تقوم به إيران عبر حزب الله أصبح مكشوفًا للجميع، بما فيهم الإسرائيليون أنفسهم، ولا يختلف المشروع الإقليمي الإيراني في أيّ وجه من أوجه أهدافه عن أيّة مشاريع خارجية يتم تطبيقها في منطقتنا العربية، الفارق الوحيد بينها هو الأسلوب والأدوات.

وتقع المسؤولية هنا على عاتق الجميع، فلقد آن الأوان لمواجهة تلك المشاريع التي تستهدفنا بشكل أساسي، وذلك بتغيير منهجنا وأسلوبنا وأدواتنا، وبالتالي عدم الوقوع في مثل هذه الشِّرَاك المنصوبة.

أفكار ومقتطفات

- المشـاريع الأمريكية تتّسـم بالبعد عن الواقعية، وبسقف مطالب عالٍ جدًّا من الشعوب، وباستخدام قوّة خارقة ترتد سلبيًّا على ما تطرحه من مشاريع وتصيب مصداقيتها بالصميم.

- كان (الإمام الخميني) يريد إقامة حزام شـيعي للسـيطرة على ضفتي العالم الإسـلامي، كان هذا الحزام يتألف من إيران والعراق وسوريا ولبنان، وعندما يصبح سيدًا لهذا الحزام يستخدم النفط وموقع الخليج الفارسي للسيطرة على بقية العالم الإسلامي.

(أبو الحسن بني صدر- أول رئيس لجمهورية إيران في عهد الخميني).

- المشـروع الأمريكـي في المنطقة يهدف إلى السـيطرة علـى رأس الدولة، أو القيادة السياسـية لها؛ على اعتبـار أن بإمكان هذه الطبقة السـيطرة على شـعبها، وبالتالي ضمان التزامها بالمصالـح الأمريكية. أما المشـروع الإيراني فهو أكثر دهاءً وديمومة؛ إذ إنّه يعتمد على اختراق القاعدة الشعبية في الوطن العربي سواءً من الناحية المذهبية أو السياسية أو الاجتماعية.

- لا نحتـاج إلـى كبير جهد لإثبـات مدى نجاح الحزب في جـر عدد كبير من العرب والمسـلمين باتجاه البوصلة الإيرانية، ولو على الصعيد الإعلامي والدعائي.

- إننا أبناء أمّة «حزب الله» التي نصر الله طليعتها في إيران، وأسست من جديد نواة دولة الإسلام المركزيّة فـي العالـم ... نلتزم بأوامر قيادة واحدة حكيمة عادلة؛ تتمثّل بالولي الفقيه الجامع للشـرائط، وتتجسـد حاضـرًا بالإمام المسـدّد آية الله العظمى روح الله الموسـوي الخميني دام ظلّه، مفجّر ثورة المسـلمين وباعث نهضتهم المجيدة. (البيان التأسيسي لحزب الله)

- من مسؤولية القيادة المنتخبة من كوادر الحزب بحسب النظام الداخلي، والتي تتمثل بالشورى التي يرأسها الأمين العام، والتي تحصل على شرعيتها من الفقيه، فيكون لها من الصلاحيات الواسعة والتفويض ما يساعدها على القيام بمهامها ضمن هامش ذاتي وخاص، ينسجم مع تقدير الشورى للأداء التنفيذي النافع والمفيد لمساحة عملها.

- إذا كانت مسـألة اشـتراك الحزب أو عدمه في الانتخابات تحتاج إلى فتوى من الولي الفقيه، فما هو حال المسائل الجِسَام السياسية والعسكرية، والتي لها انعكاسات إقليمية ودولية على أداء الحزب؟!

- إنه لا ينبغي تجاهل تلاقي مصالح أمل و«إسـرائيل»، التي تقوم على أساس الرغبة المشتركة في الحفاظ على منطقة جنوب لبنان، وجعلها منطقة آمنة خالية من أي هجمات ضد «إسرائيل».

(صحيفة الجروزاليم بوست).

- كان لا بد من إنشاء حزب آخر ينقل إيران إلى المنطقة ويربطها بالقضية الفلسطينية، ويسمح لها بموطئ قدم، ويجعلها على صلة مباشرة بالأحداث فكان أن تمّ إنشاء حزب الله.

- «نحن لا نقول: إننا جزء من إيران؛ نحن إيران في لبنان، ولبنان في إيران» (إبراهيم الأمين ١٩٨٧).

- بلغت الأجرة الشهرية للمقاتل خمسة آلاف ليرة لبنانية، وهي أعلى أجرة تقاضاها مقاتل في لبنان عام ١٩٨٦؛ لدرجة أن مقاتلي أمل راحوا -بهدف الكسب- يَهْجُرون صفوف الحركة للانخراط في حزب الله.

- قامت إيران بالتكفّل بجميع احتياجات الحزب المالية، والتي بلغت عام ١٩٩٠ ثلاثة ملايين دولار ونصف المليون؛ حسب بعض التقديرات، وخمسين مليون عام ١٩٩١، وقُدِّرت بمائة وعشرين مليونًا في ١٩٩٢، ومائة وستين في عام ١٩٩٣.

- ضرورة توفر وجه لبناني لدور الحزب هو الذي يضمن له استمرارية العمل في البيئة اللبنانية.

- العمل وفق المصلحة الإيرانية الخالصة دون أن يكون هناك وجه مصلحة لبنانية يؤدي إلى التضييق على الحزب، الذي يصبح معزولاً من قِبَل اللبنانيين الناقمين عليه.

- «لبنان يشبه الآن إيران عام ١٩٧٧، ولو نراقب ونعمل بدقة وصبر، فإنه إن شاء الله سيجيء إلى أحضاننا، وبسبب موقع لبنان وهو قلب المنطقة، وأحد أهم المراكز العالمية، فإنه عندما يأتي لبنان إلى أحضان الجمهورية الإسلامية، فسوف يتبعه الباقون». حجة الإسلام فخر روحاني - سفير إيران في لبنان.

- يقوم الحزب باستخدام ما يسمى «القوة الناعمة» أو «البرستيج» للترويج للحزب على نطاق الوطن العربي بأسره كخطوة أولى، وكون الحزب لبنانيًّا، والعدو المفترض «إسرائيل» فهذا سيسهّل كثيرًا مهمة إيران في اختراق الشعوب.

- الاستثمار المالي والمادي والمعنوي والديني الإيراني في هذه المؤسسة الدعائية هو خيار صائب لها، بل هو الخيار الأنجح في نقل الثورة الإسلامية إلى الخارج، وفي اختراقها للقاعدة الشعبية الإقليمية.

- إن المقاومة تعلن ارتباطها الوثيق بالجمهورية الإسلامية في إيران، وبالمرجعية والقيادة الدينية فيها، ولكن خطابهم خطاب وطني .

- تقوم إيران بتأمين السلاح والعتاد الكامل لحزب الله «لمناكفة» إسرائيل؛ وذلك ضمن معادلة داخلية محدودة لا تتجاوز الحصول على مكاسب سياسية وإعلامية بالدرجة الأولى، وما يأتي بعد ذلك فهو فائض. والهدف من ذلك أن يلقى حزب الله شهرة كبيرة في العالم الإسلامي تمهّد الطريق له لتصدير مفاهيم الثورة الإيرانية من تحت البساط ودون أيّة مشاكل أو حزازيات .

- إن الاعتبارات التي تحكم الاستراتيجية الإيرانية ترتبط بمصالحها ووضعها في الخليج، وليس بعدائها «لإسرائيل»، وهي تُبدي حساسية كبيرة لما يجري في دول الجوار، وخاصة في العراق(افرايم كام).

- المشروع الإقليمي الإيراني، مشروع لا يختلف في أيّ وجه من أوجه أهدافه عن أيّة مشاريع خارجية يتم تطبيقها في منطقتنا؛ بغض النظر عن مسمياتها (صهيونية، أمريكية، استعمارية، استغلالية، استعبادية، توسّعية...إلخ).

- إيران لا تشكل أي خطر على «إسرائيل»، ولا تريد تدميرها، بل هي في حاجة «لإسرائيل»، وتعتبرها مكسبًا استراتيجيًّا هامًّا حتى تظل قوة عظمى في المنطقة، وهي تستغل وتستخدم «إسرائيل» كذريعة لتحقيق أهدافها، ولدعم مكانتها الإقليمية ولنشر مبادئ الثورة الإيرانية تحت شعار «معاداة إسرائيل».
(تقرير معهد «omedia» البحثي الإسرائيلي)

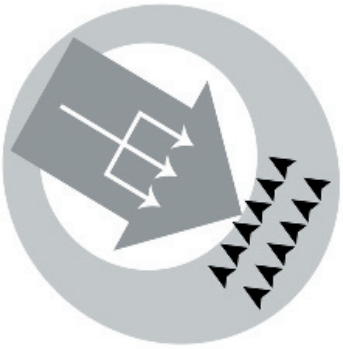

حزب الله والمشروع الإقليمي الإيراني
« العلاقة والدور »

علي حسين باكير – الأردن

باحث في العلاقات الدولية

مقدمة:

يعتبر موضوع «حزب الله» والمشروع الإقليمي الإيراني، من المواضيع الساخنة التي تخضع لنقاشات عنيفة وحادّة اليوم في العالم العربي والإسلامي. ومن الملاحظ أيضًا أن صورة «حزب الله» وإيران تثير لغطًا كبيرًا بين الناس، ويعود ذلك في أغلبه إلى غياب النظرة الدقيقة لحقيقة المشروع الإيراني في المنطقة؛ ولطبيعة العلاقة التي تربط «حزب الله» بإيران، والدور الذي يؤديه في هذا الإطار، وإلى غلبة العاطفة والأهواء أيضًا على الحقائق والوقائع.

وتعتبر هذه القضيّة «أي اعتماد الأهواء والعواطف في الحكم على الأمور» إحدى أهم المشاكل التي نعاني منها اليوم، وهي سبب من الأسباب الكثيرة للواقع الرديء الذي نعيشه في العالم العربي والإسلامي.

– نعرض في هذه الورقة البحثيّة لجزء يسير من المشروع الإقليمي الإيراني، وعلاقة حزب الله اللبناني بهذا المشروع، والدور الذي يؤديه، على أن يتم تقسيم العلاقة بين الحزب وإيران منذ فترة إنشائه وحتى اليوم إلى قسمين. نتحدّث بالقسم الأول عن العلاقة الدينية والسياسية بين الحزب والولي الفقيه الإيراني، وفي القسم الثاني عن الدور الذي يقوم به الحزب في إطار المشروع الإيراني، معتمدين في ذلك على ما توفّر من مصادر ومراجع معتمدة لدى الحزب نفسه تعبّر عن وجهة نظره وتوجّهه قبل غيره، وعلى ما توفّر من تصريحات وتعليقات وشواهد لقادة الحزب والمسؤولين الإيرانيين بما يتناسب ومنهجية البحث وموضوعيته.

تمهيد: **ماهية المشروع الإيراني**:

من منّا لا يعرف ما هي المشاريع الأمريكية في المنطقة العربية والإسلامية وفيما يسمّى بالشرق الأوسط؟ فتارة الشرق الأوسط الكبير، وطورًا الشرق الأوسط الجديد، وإلى ما هنالك من مشاريع التقسيم، والهدف واحد السيطرة على المنطقة وثرواتها ومقدّراتها، ولعلّي أقول هنا –ولا أُخفي سرًّا– إنّ المشاريع الأمريكية تتّسم بالبعد عن الواقعية، وبسقف مطالب عالٍ جدًّا من الشعوب، وباستخدام قوّة خارقة ترتد سلبيًّا على ما تطرحه من مشاريع وتصيب مصداقيتها بالصميم.

لكن بالمقابل هناك مشروع إقليمي ذو صبغة إمبراطورية قومية يتبلور شيئًا فشيئًا، والخطير في هذا المشروع أنّ جُلّ الناس لا تعرف عنه شيئًا، وذلك لأنّه وعلى عكس المشروع الأمريكي يتميز بسريّة

وكتمان شـديدين، ويلعـب على التناقضـات متغطيًا بعمامة وثوب إسـلاميين، وهو مشـروع يعتمد الذكاء والحنكة السياسية والدعاية والإعلام، والقوّة الناعمة والخشـنة- كُلٌّ في وقته- وبسقف مطالب معقول في البداية؛ حتى لا يتم التشكيك بنواياه.

هذا المشروع الجديد القديم هو المشروع الإيراني، وفي هذا السـياق مـن الضرورة التوضيـح أنّ تخييرنا بين المشـروعين الأمريكـي أو الإيرانـي أو زجّنا في أحدهمـا هـو أمر مرفـوض، فنحـن نرفـض إجبارنا على تبني موقف لصالـح أحدهما دون الآخر. وعليه وكما فضحنا ونفضح المشروع الأمريكي ونعريه ونعري كل مَنْ تعاون معه، وجنَّد نفسه لخدمته، نجد أنفسـنا ملزمين أيضًا وعلى نفس الوتيرة والمستوى بعرض المشـروع الإيرانـي وآلياتـه وأدواته وجنوده». (١)

عـمـدت إيـــران إلـى اختـيـار استراتيجية معاكسة لتلك التي تعتمدها الولايات المتّحدة في السيطرة على المنطقة

من غيـر الصحيح القـول: إن الملـك الأردني هو الذي اخترع مسـألة الهلال الشـيعي، فقد كان آية الله الخمينـي هو أول مـن صرّح به عمليًـا، وهذا ما أدلى بـه أول رئيـس لجمهورية إيـران الإسـلامية في عهد الخميني، أبو الحسـن بني صدر الذي نقل في برنامج «زيـارة خاصّـة» الذي يقدّمه سـامي كليـب على قناة الجزيرة في حلقـة بعنوان: «الثـورة الإيرانية وأمريكا والعرب» بتاريخ ١٧/ ١/ ٢٠٠٠؛ حيث سـأله كليب السـؤال التالي: «هل كان الإمام الخميني يحدثك عن علاقتـه مع الجـوار العربي، مـع دول الخليج؟ وهل كانت لديه أطماع في التقدم عسكريًا تجاه هذه الدول من أجل تصدير الثورة مثلاً؟» .

فأجاب أبو الحسـن: «لم يحدثنـي بهذا الموضوع، ولكـن كان هناك مشـروع آخر، كان يريـد إقامة حزام شـيعي للسـيطرة علـى ضفتـي العالـم الإسـلامي، كان هـذا الحـزام يتألف مـن إيران والعراق وسـوريا ولبنـان، وعندمـا يصبح سـيدًا لهذا الحزام يسـتخدم النفـط، وموقع الخليج الفارسـي للسـيطرة على بقية العالم الإسلامي».

إذًا فهـذا المشـروع ليـس وهمًـا نختلقـه، وليـس تضخيمًا نستجلبه، كما تفعل الولايات المتّحدة لغاية خاصة بها. وهو واقع ومشـروع قديم، وأقدم من عهد الخميني الذي لم يبدل به شيئًا، باستثناء استبدال التاج والصولجان بالعمامة والعباءة.

يعتبر الهلال الشيعي(*) الخطوة الأولى أو الركيزة الأساسـية في ارتقاء المشـروع الإيراني لتسيّد العالم الإسـلامي، لكنّ المشـروع تواجهه عوائق كثيرة **أهمها على الإطلاق**:

١- الحساسـية العربية من العنصر الصفوي-الفارسي.

٢- الحساسـية السنيّة تجاه التشيع الصفوي «التابع للوليّ الفقيه».

٣- وجـود نفـوذ أمريكي قوي في المنطقة المفترضة للتغلغل الإيراني.

للتغلـب على هذه العقبات اعتمدت إيران طريقتين مختلفتيـن، الأولـى تتعلّـق بمصاعـب الاختـراق العربي-السـنّي، والثانيـة تتعلّـق بمشـكلة النفـوذ الأمريكي بالمنطقة.

بالنسبة للشـق الأول، فقد عمدت إيران إلى اختيار اسـتراتيجية معاكسـة لتلـك التي تعتمدهـا الولايات المتّحدة في السيطرة على المنطقة.

المشروع الأمريكي في المنطقة يهدف إلى السيطرة على رأس الدولة أو القيادة السياسـية لها؛ على اعتبار أن بإمكان هذه الطبقة السـيطرة على شعبها، وبالتالي ضمـان التزامهـا بالمصالح الأمريكية. أما المشـروع الإيرانـي فهو أكثـر دهاءً وديمومة؛ إذ إنّـه يعتمد على اختـراق القاعدة الشـعبية فـي الوطن العربي، سـواء مـن الناحيـة المذهبيـة أو السياسـية أو الاجتماعيـة، ومـن الطبيعـي أن الورقة الأولى والأساسـية في هذا الاختراق للأسف هي الورقة الشيعية العربية «المبايعة

للولـي الفقيـه بالدرجة الأولـى»، ولكن بمـا أن هذه الورقة لا تستطيع التأثير على مجمل القرار في الوطن العربي، فإنه لا بد من الاستفادة من مكونات المجتمع الأخرى الأكثر عـددًا وتأثيرًا، ويتم ذلك باللعب على أوتار المقدسـات التي تلتغي عند حدودها -بالنسـبة للمواطـن العربـي القوميـة، أو السـنّي المذهـب- التقسـيمات والتساؤلات والتشكيكات والتناقضات، بـل وحتى طعنـات الأمس وخـدع اليـوم. (٢)، وهنا بالذات يأتي دور حزب الله اللبناني في الاختراق. ولا نحتاج إلى كبير جهـد لإثبات مدى نجاح الحزب في جر عدد كبير من العرب والمسـلمين باتجاه البوصلة الإيرانية، ولو على الصعيد الإعلامي والدعائي.

أما بالنسبة إلى الشق الثاني فتمّ ترجيح طرح مشروع مساومة مع الولايات المتّحدة الأمريكية، يعرف باسم «الصفقة الكبرى» (٣)، تقوم إيران بموجبه بالتزام عدد من الشروط الأمريكية على أن تقوم الولايات المتّحدة بدورها بالاعتراف بوضع إيران «كقوة إقليمية شرعية كبرى» (٤)، وهو الأمر الـذي مازالت أمريكا ترفضه، علـى الرغم مـن الخدمـات الجليلة التـي قدّمتها لها إيران في غزو أفغانستان والعراق.(٥)

طبيعة العلاقة بين حزب الله وإيران :

أولاً: التبعية الدينية والسياسة للولي الفقيه:

عندمـا يتـم الحديث عن مسـألة مبايعة حـزب الله وكـوادره للولـي الفقيـه الإيراني، غالبًا ما نسـمع من الخاصـة والعامـة عنـد الطائفـة السـنيّة مـن الكتّاب المتخصصيـن، أو مـن الجمهـور على حدّ سـواء أنّ تلـك المبايعة تلزم الحـزب في الأمـور الفقهيّة فقط دون السياسـية، وأن هذه المبايعة لا تشكّل تبعية على الإطلاق، ولا تعني عدم اسـتقلالية الحزب. معتقدين أن هـذا التفسـير يُرضـي أهواءهـم في كـون الحزب صادقًا في انتمائه، وفي نواياه وفي أجندته.

في هذا الطرح طبعًا مغالطات اسـتراتيجية تسـاهم عـن قصد، أو جهـل بالتغطية على الصـورة الحقيقية للحـزب وتبعيتـه لإيـران، والتـي لا ينكرهـا حتـى قادة الحزب.

في البيان التأسيسـي للحزب، والـذي جاء بعنوان «مـن نحن؟ وما هي هويتنا؟» في ١٦ شـباط ١٩٨٥، عرّف الحزب عن نفسـه فقال: «...إننا أبناء أمّة حزب الله التي نصر الله طليعتها في إيران، وأسست من جديد نواة دولة الإسلام المركزيّة في العالم ... نلتزم بأوامر قيادة واحدة حكيمة عادلة تتمثّل بالولي الفقيه الجامع للشـرائط، وتتجسـد حاضرًا بالإمام المسـدّد آية الله العظمى روح الله الموسوي الخميني، دام ظلّه مفجّر ثورة المسلمين وباعث نهضتهم المجيدة..».(٦)

يقول الخمينـي عن الولي الفقيـه وصلاحياته: «لو قـام الشـخص الحائز لهاتيـن الخصلتيـن (أي العلم والعدل) بتأسيس الحكومة تثبت له نفس الولاية التي كانت ثابتة للرسول الأكرم، ويجب على جميع الناس إطاعته. فتوهـم أن صلاحيات النبي في الحكم كانت أكثر مـن صلاحيات أمير المؤمنين، وصلاحيات أمير المؤمنين أكثر من صلاحيات الفقيه، هو توهم خاطئ وباطـل. نعم إن فضائل الرسـول بالطبع هي أكثر من فضائل جميع البشـر، لكن كثـرة الفضائل المعنوية لا تزيد في صلاحيات الحكم». (٧)

يقـول الشـيخ نعيـم قاسـم نائـب الأميـن العـام لحزب اللـه في كتابه «حزب اللـه، المنهج، التجربة، المستقبل»، شـارحًا علاقة «المسـلم» بالولي الفقيه: «... يحتـاج المسـلم المكلف في القسـم الأول (أي قسم العبادات والمعاملات) إلى مرجع تقليد لمعرفة الأحـكام الشـرعية وضوابطهـا، وفـي القسـم الثاني (القسـم العـام المرتبـط بالأمة ومصالحهـا، وحربها وسـلمها، وتوجهاتهـا العامـة) إلـى قائد هـو الولي الفقيه لتحديد السياسـات العامة في حياة الأمة، ودور المكلفيـن العملي في تنفيذ أحكام الشـرع المقدس، والسـهر علـى تطبيقهـا في حيـاة الأمة. وقـد تجتمع المرجعية والولاية في شـخص واحـد... كما حصل

بالنسبة للإمام الخميني مع انتصار الثورة، وللإمام الخامنئي بعد اختياره للولاية». (٨)

هذا «والارتباط بالولاية، -كما يقول الشيخ نعيم قاسم - تكليف والتزام يشمل جميع المكلفين، حتى عندما يعودون إلى مرجع آخر في التقليد؛ لأن الإمرة في المسيرة الإسلامية العامة للولي الفقيه المتصدي». (٩)

وفي هذا الإطار يوضّح الشيخ «محمد تقي مصباح يزدي» أن سلطة الولي الفقيه هي سلطة كليّة، مطلقة وعامّة، لا فرق بين السياسي والديني لمن بايعه، ويطرح في بحث له -أيضًا- عددًا من التساؤلات في محاولة للإجابة عنها، وتقديم صورة واضحة للقارئ، من بينها التساؤل التالي: «إذا كان هناك فرد أو جماعة مسلمة تعيش في بلد غير إسلامي» خارج حدود البلد الإسلامي المفترض الذي يُدَار بنظام ولاية الفقيه، فهل يجب عليهم إطاعة الأوامر الحكومية للفقيه المذكور أم لا؟» ، وهو سؤال بطبيعة الحال ينطبق على حالة حزب الله في لبنان. يقول الشيخ يزيدي في جوابه على هذا التساؤل: «إن لهذا السؤال كما يبدو فرضين: الأول هو: أن المسلمين المقيمين خارج البلد الإسلامي بايعوا الولي الفقيه. والفرض الثاني: أنهم لم يبايعوه..... وفقًا للمبدأ الأول (أي: ثبوت الولاية بالتعيين أو بإذن الإمام المعصوم)، ... يحق لمثل هذا الشخص الولاية على الناس، ويكون أمره نافذًا على كل مسلم، ويجب عليه تنفيذه؛ إذن فطاعته واجبة أيضًا حتى على المسلمين المقيمين في الدول غير الإسلامية.

أما في ضوء المبدأ الثاني الذي ينص على توقف ولاية الفقيه على الانتخاب والبيعة،...فإن طاعة الولي الفقيه، وفقًا لهذا المبدأ، واجبة أيضًا على المسلم المقيم في البلاد غير الإسلامية، سواء بايع أم لم يبايع». (١٠)

إذًا فالشيخ هنا يزيد من الشروط، ويقول: إن الولي الفقيه في سلطته مُلْزِمٌ للذين لم يبايعوا أيضًا، فما بالكم في الذين بايعوا كحزب الله؟!

هذا «الحجم من الصلاحيات المنوطة بالولي الفقيه» تترجم عمليًّا برسم السياسات العامة للأمة الإسلامية جمعاء، أي بتعبير قديم بـ «دار الإسلام» وبتعبير معاصر «العالم الإسلامي»، أما «التفاصيل» فمتروكة للأحزاب الإسلامية القطرية المرتبطة بالولي الفقيه.

إذن متروك للحزب المحلي،- وفي حالتنا لـ «حزب الله» اللبناني- الإدارة والمتابعة ومواكبة التفاصيل والجزئيات، ... وتكون هذه الأمور «من مسؤولية القيادة المنتخبة من كوادر الحزب بحسب النظام الداخلي، والتي تتمثل بالشورى التي يرأسها الأمين العام، والتي تحصل على شرعيتها من الفقيه، فيكون لها من الصلاحيات الواسعة والتفويض ما يساعدها على القيام بمهامها ضمن هامش ذاتي وخاص ينسجم مع تقدير الشورى للأداء التنفيذي النافع والمفيد لمساحة عملها...». (١١)

لكن من الذي يحدّد ما هو هامش التحرّك للحزب، ومتى يكون؟ وكيف يكون؟ ولماذا يكون؟! وإذا كان هناك حريّة هامش ضمن إطار نفوذ الولي الفقيه وإشرافه، فمتى يتدخل؟ ولماذا؟

الإجابة على مثل هذه التساؤلات تتيح للقارئ أن يحكم على مدى استقلالية الحزب أو تبعيته. على سبيل المثال، فإن مسألة الانتخابات في أيّ بلد من البلدان هي مسألة داخلية يشترك فيها أبناء الشعب في ذلك البلد، وعلى الرغم من ذلك، فقد أثارت مسألة اشتراك حزب الله في الانتخابات النيابية اللبنانية لعام ١٩٩٢، أو عدم اشتراكه فيها ضجّة كبيرة.

وعلى الرغم من هامش الحرية المتروك للحزب في التصرف بشؤونه الداخلية، والتي تعتبر الانتخابات عنصرًا من عناصرها، إلاّ أنّ نائب أمين عام حزب الله الشيخ نعيم قاسم يؤكّد أن قرار اشتراك الحزب في الانتخابات جاء بناءً على فتوى من الولي الفقيه الإيراني!!

هذا الموضوع استلزم -كما يقول الشيخ

نعيم قاسم- «نقاشًا داخليًّا موسعًا». فكلفت لجنة من ١٢ عضوًا لنقاش هذا الأمر. وبعد نقاش جملة من الفرضيات [١٢] ارتأت أكثرية اللجنة (١٠ من ١٢) أن المشاركة في الانتخابات تحقق جملة من المصالح التي ترجّح الإيجابيات على السلبيات. لكن مشروعية الاقتراح أو شرعيته لم تأخذ حيز الاقتناع الكامل والتنفيذ إلا بعد «أن استُفتي الولي الفقيه». يقول الشيخ نعيم قاسم بعد سرده الوقائع «ثم جرى استفتاء سماحة الولي الفقيه الإمام الخامنئي (حفظه الله) حول المشروعية في الانتخابات النيابية بعد تقديم اقتراح اللجنة، فأجاز وأيّد. عندها حُسمت المشاركة في الانتخابات النيابية، ودخل المشروع في برنامج وآلية الحزب». [١٣]

فإذا كانت مسألة اشتراك الحزب أو عدمه في الانتخابات تحتاج إلى فتوى من الولي الفقيه، فما هو حال المسائل الجسام السياسية والعسكرية، والتي لها انعكاسات إقليمية ودولية على أداء الحزب؟!

مثال آخر على مدى سلطة وصلاحية الولي الفقيه حتى في لبنان. فالانتخابات شأن داخلي، وعلى الرغم من ذلك، كما رأينا فقد كان دور الولي الفقيه حاسمًا في المسألة. المثال هذه المرّة يتعلّق بالشأن الاجتماعي الداخلي اللبناني الصِّرْف. فقبل حوالي تسعة أعوام في ١٤ تشرين الثاني ١٩٩٧، وبعد أسابيع قليلة على إعلان ما سمّي «ثورة الجياع» من قبل الشيخ صبحي الطفيلي، تحدث الأمين لحزب الله السيّد حسن نصر الله في صالون سميح الصلح السياسي في بيروت، وقال ردًّا على سؤال: ماذا عن العصيان والنزول إلى الشارع؟ (تعقيبًا على تهديد الشيخ الطفيلي بالعصيان المدني):

إذا كانت مسألة اشتراك الحزب أو عدمه في الانتخابات تحتاج إلى فتوى من الولي الفقيه، فما هو حال المسائل الجسام السياسية والعسكرية، والتي لها انعكاسات إقليمية ودولية على أداء الحزب

«إن العصيان غير مقبول بالمعنى الشرعي، بل إن حفظ النظام العام واجب، وعدم الالتزام بالقوانين يرتّب مفاسد كبيرة على أوضاع الناس وشؤونهم الحياتية، وهناك حالة واحدة يجوز فيها العصيان هي عندما تصبح المفسدة كبيرة إلى الحد الذي لا يوجد فيها حل آخر، وهذا يحتاج إلى إذن من الوليّ الفقيه». [١٤]

هذه هي الآلية، فمسألة الانتخابات في لبنان يتصدى لها الولي الفقيه الإيراني، ومسألة العصيان في لبنان يتصدى لها الولي الفقيه الإيراني، ولاحظوا معي أن هذه المسائل؛ ورغم صلاحية وسلطة الحزب بالتصرف بالأمور الداخلية ضمن المنظور العام للولي الفقيه، كما سبق وذكرنا، إلا أن هذا القدر من التفويض لم يُتح للحزب حسم مسائل صغيرة، إنما تطلب الأمر تدخل الولي الفقيه. فالكلمة الفصل كانت للولي الفقيه الإيراني، ولم تكن مثلاً لنائبه أو وكيله في لبنان، أو ممثل حزب الله، أو أمينه العام اللبناني!!

أمام هذه المعطيات، لنا أن نتصور تصدي الولي الفقيه لأمور مثل العلاقة مع السنّة، والموقف من «إسرائيل» والجبهة على الشمال، واتّفاقات الهدنة، وقرارات خوض الحرب والسلم و... ولنا أن نتساءل كم من المرات استُفتي الولي الفقيه منذ إنشاء الحزب؟، وما هي الافتراضات والمناسبات والمواقف التي استُفتي فيها الفقيه حتى يومنا هذا؟ وماذا إذا اصطدم توجه الولي الفقيه مع مصلحة الدولة اللبنانية، فأيهما سيختار الحزب، ولمن سيكون الولاء والطاعة؟

على الرغم من أن الجواب واضح عمليًّا من خلال ممارسات حزب الله، خاصة بعد الخروج السوري

من لبنان، والذي كان يعمل على تطويع مصلحة البلد بأكمله -أي لبنان- ليجعلها تتماشى مع مصلحة الولي الفقيه، فلا يظهر التناقض ولا يضطر الحزب ليكون في هذا المأزق، إلا أننا سنستعين بما يقوله قادة الحزب أنفسهم بشأن هذه القضية:

يقول السيد حسن نصرالله الأمين العام لحزب الله داعمًا لمرجعية الولي الفقيه: «في مسيرتنا الإلهية نحن قوم نؤدي تكليفنا الإلهي والشرعي، ويحدده لنا ولي الأمر في خطوطه الكبيرة والعريضة، وأحيانًا في التفاصيل، ونحن علينا أن نؤدي هذا التكليف الإلهي الشرعي».(١٥)

بطبيعة الحال التكليف «الإلهي والشرعي» في هذا الكلام المهم الذي يقوله حسن نصر الله، لا يتعلّق بمسائل مثل الْخُمُس والصلاة والنكاح والفرائض الدينية، وإذا توهّم القارئ ذلك فهو تأويل من جانبه لما لا يقبل التأويل. هذا كلام صريح وواضح يتعلّق بخطوط كبيرة وتفاصيل واستراتيجيات، فأين الاستراتيجيات في الزواج والخمس والصلاة؟! المقصود هنا السياسة والمصلحة، وهنا يرتبط السياسي بالديني من خلال الولي الفقيه والتكليف الشرعي.

يعلّق مفتي صور وجبل عامل العلامة السيد علي الأمين على مسألة «إذا اصطدم توجه الولي الفقيه مع مصلحة الدولة اللبنانية، فأيهما سيختار الحزب؟» قائلاً: «إذا تعارضت نظرية ولاية الفقيه بنظر «حزب الله» مع المصلحة الداخلية، فإنهم سيقدمونها على المصلحة الوطنية؛ لأن رأي الفقيه حكم مُطاع.....كانوا يقولون دائمًا، وحتى بعضهم عندما وقعت خلافات في الجنوب، فليذهب الجنوب وتبقى الجمهورية الإسلامية في إيران، والآن يمكن أن يقول البعض: فليذهب لبنان ولتبق الجمهورية الإسلامية».(١٦)

«إذا تعارضت نظرية ولاية الفقيه بنظر «حزب الله» مع المصلحة الداخلية، فإنهم سيقدمونها على المصلحة الوطنية؛ لأن رأي الفقيه حكم مطاع»

ثانيًا: إنشاء حزب الله ودوره في خدمة المشروع الإيراني:

لقد جاءت ولادة الحزب في ظروف حروب خارجية وداخلية عنيفة شهدها لبنان، وقد كان لإيران الدور الأبرز في ولادة الحزب إثر انتهاء دور حركة أمل الشيعية التي كانت مصالحها في الفترة الأخيرة من تلك المرحلة مرتبطة بالخطّة الإسرائيلية بتصفية الوجود الفلسطيني في لبنان. فعلى سبيل المثال، نقلت وكالة رويترز في تقرير لها من النبطية في ١/ ٧/ ١٩٨٢م أن القوات الصهيونية، التي احتلت البلدة سمحت لمنظمة (أمل) بأن تحتفظ بالمليشيات الخاصة التابعة لها، وبحمل جميع ما لديها من أسلحة. وصرّح أحد قادة مليشيا منظمة (أمل) ويدعى حسن مصطفى «أن هذه الأسلحة ستُستخدم في الدفاع عنا ضد الفلسطينيين». (١٧)

مثال آخر أكثر وضوحًا، فقد قالت صحيفة (الجروزاليم بوست) في عددها الصادر بتاريخ ٢٣ / ٥/ ١٩٨٥م: «إنه لا ينبغي تجاهل تلاقي مصالح أمل و«إسرائيل»، التي تقوم على أساس الرغبة المشتركة في الحفاظ على منطقة جنوب لبنان، وجعلها منطقة آمنة خالية من أيّ هجمات ضد إسرائيل. إن إسرائيل ترددت حتى الآن في تسليم أمل مهمة الحفاظ على الأمن والقانون على الحدود بين فلسطين ولبنان، وإن الوقت حان لأن تعهد «إسرائيل» إلى أمل بهذه المهمة». (١٨)

ونقلت وكالة الأنباء في ٦ / ٦/ ١٩٨٥م عن رئيس الاستخبارات العسكرية اليهودية (إهود براك) قوله: «إنه على ثقة تامة من أن «أمل» ستكون الجبهة الوحيدة المهيمنة في منطقة الجنوب اللبناني، وأنها ستمنع رجال المنظمات والقوى الوطنية

اللبنانيـة مـن التواجـد فـي الجنـوب، والعمـل ضد الأهداف الإسرائيلية». (١٩)

بالإضافة إلى ذلك، فقد كان الخط السياسي لحركة أمل تابعًا لسـوريا ممّـا لا يترك مجـالاً لإيران لإملاء السياسـات المناسـبة عليها، أعقب ذلك تورّط حركة أمـل في مجازر كبيرة في حق الفلسـطينيين في لبنان، والذيـن كان البعـض يعتبرهم جيش السـنّة في لبنان، ولـم تعد حركة أمل بشـقّها السياسـي أو العسـكري بقادرة على ترويج الخط الإيراني، فكان لا بد من إنشاء حزب آخر ينقـل إيران إلى المنطقة، ويربطها بالقضية الفلسطينية، ويسـمح لها بموطئ قدم، ويجعلها على صلة مباشـرة بالأحداث، فكان أن تمّ إنشاء حزب الله من عناصر كانوا تابعين لحركة أمل بالأساس؛ أبرزهم على الإطلاق المسؤول عن مكتب حركة أمل في إيران في ذلك الوقت السيد إبراهيم أمين السيد الذي أصبح لاحقًا أحد البارزين فـي «حزب الله» (٢٠)، بالإضافة إلـى غيرهم من الشـيعة ممن ارتضـى أن يكون الولي الفقيـه مرجعه وقائـده. «ومنذ ذلك الوقت تكرسـت القطيعـة الآنية بين «حركـة أمل» والثورة الإسـلامية في إيران، وأخذت إيران تنسـق على السـاحة اللبنانية مع «حـزب اللـه» ورجال الديـن العامليـن، وبعض المؤسسات الأخرى مثل «أسرة التآخي» التي يرعاها السيد محمد حسين فضل الله». (٢١)

وقد عبّر إبراهيم الأمين «قيادي في الحزب» عن هذا التوجّه عام ١٩٨٧ فقال: «نحن لا نقول: إننا جزء من إيران؛ نحن إيران في لبنان، ولبنان في إيران». (٢٢)

فيما يقول حبيب فياض: «ويمكن القول: إن تجربة المقاومة الإسـلامية قد ولدت من رحم تجربة الإمام الخمينـي في قيـادة الثورة الإسـلامية قبـل الانتصار وبعـده، وإن المقاومة بين التجربتيـن تتجاوز الإطار التحالفـي التقليـدي الـذي قـد يحكـم العلاقـة بين الثورات والحـركات التحررية المرتبطة بها، وتتوغل العلاقـة بيـن التجربتيـن في عمـق التاريـخ والعقيدة والهويـة، وتتجلى علـى نحو ما يربط الجـزء بالكل، والفرع بالأصل والمقدمة بالنتيجة». (٢٣)

على أية حال عملت إيـران على الاهتمام بالحزب اهتمامًا كبيـرًا، وعلى تنصيع سـيرته، والحرص على مثاليتهـا للاسـتفادة منهـا فيما بعـد، وتكفّلـت إيران بالدعـم المالي للحـزب، والـذي كان العامل الأوّل في اجتـذاب المقاتلين إلى صفوفـه، وجاء في كتاب الحروب السـرية: «بلغـت الأجرة الشـهرية للمقاتل خمسـة آلاف ليرة لبنانية، وهي أعلـى أجرة تقاضاها مقاتـل في لبنان عـام ١٩٨٦، لدرجـة أن مقاتلي أمل راحوا -بـهدف الكسـب- يهجـرون صفوف الحركة للانخـراط في حـزب اللـه». ولكم أن تتخيلـوا تأثير هـذه القيمة من الأمـوال عندما تـوزع على أصحاب أقـل دخـل علـى الإطـلاق فـي لبنـان وهـم الطبقة الشيعية آنذاك!! (٢٤)

وبـدا فيمـا بعد أنّ هنـاك توزيعًـا للأدوار الشـيعية فـي لبنان، ففيما تقوم «أمل» بتمثيل الشـيعة سياسـيًّا، والحفاظ علـى حقوقهم، يتولى حـزب الله الأعمال العسـكرية بعيدًا عـن السياسـة والشـؤون الداخلية. ويؤكـد ذلك ما ذكـره نائب الأمين العـام لحزب الله الشـيخ نعيم قاسم حين قال: «إنّ العديد ممن التحقوا بالحـزب تكاملوا معـه، ولم يكن الهـدف الأخذ من جمهور «أمل» وإيجاد شرخ معها». (٢٥)

إذًا «التكامـل» هـو الهدف كما صرّح الشـيخ نعيم قاسـم. ومنعًا من التطاحن على المغانم والمكاسـب الداخليـة، وخوفًـا مـن تشـوّه صورة الحـزب وعدم الاسـتفادة منها فيما بعد، قامت إيران بالتكفّل بجميع احتياجـات الحزب المالية، والتـي بلغت عام ١٩٩٠ ثلاثـة ملايين دولار ونصـف المليون حسـب بعض التقديـرات، وخمسـون مليون عـام ١٩٩١، وقُدِّرت بمائـة وعشـرين مليونًـا فـي ١٩٩٢، ومائـة وسـتين في عام ١٩٩٣، وتشـير بعـض المصادر إلـى ارتفاع ميزانيـة «حزب الله» فـي عهد رفسـنجاني إلى ٢٨٠ مليـون دولار. هذه الميزانيّة الكبيـرة جعلت الحزب يهتم فقط بالـدور المنوط به دون التّدخل في نزاعات داخلية ضيّقة. (٢٦)

من الطبيعي أن يكون للدور المناط بالحزب وجه لبناني، بل من الأصح القول: إن ضرورة توفّر وجه لبناني لدور الحزب هو الذي يضمن له استمرارية العمل في البيئة اللبنانية، وبالتالي إفادة الأجندة الإيرانية قدر الإمكان، ذلك أن العمل وفق المصلحة الإيرانية الخالصة دون أن يكون هناك وجه مصلحة لبنانية يؤدي إلى التضييق على الحزب الذي يصبح معزولاً من قبل اللبنانيين الناقمين عليه. ولذلك، فإن المتابع لدور الحزب من بدايته وصولاً إلى اليوم يرى أنّ الحزب يغير -كما سبق وذكرنا- التكتيكات القصيرة الأجل لديه بشكل سريع وكثيف لدرجة التناقض في كثير من الأحيان؛ لضرورة توفير الوجه اللبناني في إطار دوره.

وبناءً على ما سبق وتقدّم، نستطيع أن نقول: إن الهدف من إنشاء حزب الله اللبناني من الوجه الإيراني له شقّان:

- شق داخلي لبناني يتعلّق بطبيعة الحزب وبيئته في لبنان.
- وشق خارجي يتعلق بولاية الفقيه والمشروع الإيراني الإقليمي.

على أن يصب المجهود الكلي في دعم المشروع الإيراني، واستراتيجية الولي الفقيه مهما كانت الظروف، وهذا أمر واضح في أجندة القادة الإيرانيين منذ البداية.

يقول حجة الإسلام فخر روحاني - سفير إيران في لبنان - في مقابلة أجرتها معه صحيفة إطلاعات الإيرانية في نهاية الشهر الأول من عام ١٩٨٤، عن لبنان: «لبنان يشبه الآن إيران عام ١٩٧٧، ولو نراقب ونعمل بدقة وصبر، فإنه إن شاء الله سيجيء إلى أحضاننا، وبسبب موقع لبنان وهو قلب المنطقة، وأحد أهم المراكز العالمية، فإنه عندما يأتي لبنان إلى أحضان الجمهورية الإسلامية، فسوف يتبعه الباقون»(٢٧). وأكّد نفس كلامه هذا في تصريح آخر له يقول فيه: «لبنان يشكل خير أمل لتصدير الثورة الإسلامية». (٢٨)

ويمكن تلخيص هذا الدور الذي يقوم به حزب الله بالنقاط التالية:

أولاً: يقوم الحزب بتصدير مفاهيم الثورة الإيرانية بكافّة مضامينها الدينية والاجتماعية إلى البيئة اللبنانيّة، وتلتزم إيران مقابل ذلك بجميع الأعباء المالية والمترتبات التي يتطلبها هذا العمل. وتكون البيئة الشيعية غير التابعة للولي الفقيه الهدف الأول

لهـذا الترويج علـى الصعيد الداخلـي، وذلك بهدف تحجيـم المراجع الشـيعية العربيـة، أو التي تتعارض أجندتها الوطنية مع المشروع الإقليمي الإيراني، ومع القاعدة الشرعية الدينية والاجتماعية للولي الفقيه. ثم يتم الانتقال إلى الشرائح الأخرى. وعليه يصبح لبنان نموذجًا للدول التي يتواجد فيها أقليات شـيعية كبيرة مثل البحرين أو غيرها.

يقول الأميـن العام لحزب الله على سـبيل المثال: «لقـد أنعم الله علينا بولي أمر هو رجل فذّ وشـخصية اسـتثنائية، فلو فتّشـنا كل حوزاتنا وبلادنا الإسـلامية لمـا وجدنـا فقيهًا مـن فقهاء الشـيعة يجتمـع فيه هذا الحشد، وهذا المسـتوى من المواصفات الراقية التي تجتمع في سـماحة القائد الخامنئـي حفظه الله كقائد وولي أمر». (٢٩)

نسـتطيع أن نـرى بشـكل واضح جـدًّا أنّ مثل هذا الـكلام لا يسـتهدف السـنّة أو غالبية المسـلمين، بل يسـتهدف الشيعة من غير الموالين أو المبايعين للولي الفقيه، وفيه دعوة للشيعة من المقلدين للمراجع بتأييد الولي الفقيه والالتفاف حوله.

يقول الأسـعد(*) فيمـا يتعلق بدور حـزب الله في هذه النقطة مـن ناحية المال: «ونحن الآن نعيش بظل واقع المال الذي يشـتري ضعفاء النفوس، وفي واقع وجود السـلاح الذي بمجرد وجوده في القرى يشكل عامل خوف كبير عند الناس فتضطر للاسـتجابة بعيدًا عن قناعاتها ... المال هنا أهم من السـلاح -بالنسـبة لحزب الله-، وطالمـا هناك هذه الأموال الهائلة التي تأتي مـن إيران، فلـدى حزب الله ٣٧ ألف شـخص على قائمة المعاشات الشهرية.... ، وهنا يلعب المال دوره ونأسـف لذلك، وحتى بعض علماء الدين إما لا يتجرؤون على البوح بالحقائق، أو الأسـوأ وهو أنهم انصاعوا لمبدأ المال أيضًا». (٣٠)

أمـا فيمـا يتعلق بترويـج حزب اللـه للولـي الفقيه فيقـول: «لقـد تربيـت بثقافـة شـيعية عاليـة، ومنزلنا معـروف باحترامـه وإجلالـه لعلمـاء الديـن، وهـذا معروف عن آل الأسعد؛ لكن الثقافة الشيعية تعرضت للتغيير، وحتى علماء الدين تغير سلوكهم من التقشف إلـى مظاهـر الفخامة، وهـذا مؤسـف... فالمرجعية الأساسـية كانت دائمًا النجف، ومرجعية «قُم» شـيء جديـد فرض على الشـيعة... وموضـوع ولاية الفقيه هـذه أكبـر كذبـة وخدعـة... برأيـي هنـاك تحريف وتزويـر لتراثنا وتقاليدنا، وعلـى كل الأصعدة وحتى الاجتماعية منها». (٣١)

ثانيًا: وبالتوازي مع الخطوة الأولى، ولكن بحرص أكبر على ضرورة تحقيقها، يقوم الحزب باستخدام ما يسمى «القوة الناعمة» أو «البرستيج» للترويج للحزب على نطاق الوطن العربي بأسـره كخطوة أولى، وكون الحـزب لبنانيًّا، والعـدو المفترض «إسـرائيل» فهذا سيسـهّل كثيرًا مهمة إيران في اختراق الشعوب -كما سبق وذكرنا-، على أن يقوم في الخطوة الثانية بتجيير الفضل والولاء و«البريسـتيج» لإيران وللولي الفقيه، فتنتقـل القاعدة الجماهيرية التـي تؤيده، وتتحول إلى تأييـد إيران. وهكـذا وبطريقة سلسـة وسـهلة يكون الحـزب قـد اختـرق القاعـدة العربية لصالـح ايران؛ متفاديًا الحساسـيات التي من الممكن أن تنشأ فيما لو تولّت إيران بنفسـها القيام بهذه المهمة بشكل مباشر، أو انتهجت أسـلوب تصدير الثورة بشـكل مكشـوف كما سبق وفعلت في بدايتها.

لذلك نلاحظ بشـكل دائم ومستمر حضور «ايران» و «الولـي الفقيه» فـي جميع كلمـات وخطابات قادة ومسؤولي الحزب الموجّهة إعلاميًّا. نعطي مثالاً على هذه الحالة من قول الأمين العام حسن نصر الله نفسه: «أيها الإخوة والأخوات نحن وجميع المسـلمين في العالـم لدينا ولـي أمر، فـإذا كانت أغلبية المسـلمين لا يريـدون أن يطيعـوه فهذه مشـكلتهم، وقبلاً الكثير لم يطيعـوا النبي ولا الإمام المعصـوم، ولكن هذا لا يعني أن الإمام ليس إمامًا، والنبي ليس نبيًّا، نحن لدينا ولي أمر هو نائب الإمام المهدي (عج) وأوجب علينا طاعته، ونحـن خبرنا هذا الولي والقائـد، في طهارته

وصفائه وورعه، وفي الوقت نفسه في شجاعته وقوته وحكمته وتدبيره ووعيه؛ فهو يتحدى أمريكا والاتحاد الأوروبي والأساطيل التي تملأ الخليج.....؛ إذ أردنا الآخرة، فآخرتنا مع ولي أمرنا نائب الحجة (عج)؛ وأزيدكم إذا أردنا عزّ الدنيا وشرفها وكرامتها فلن ننالها إلاَّ مع ولي الأمر، حتى هذه المقاومة الكبيرة التي نعتني بها، والتي هي الشيء الوحيد في هذا العالم العربي الذي نرفع رأسنا به ونعتز به وبوجوده، لولا رجل اسمه روح الله الموسوي الخميني لما كان لها وجود في لبنان، وبعده لولا رجل اسمه علي الحسيني الخامنئي لما استمرت المقاومة». (٣٢)

نلاحظ في هذه الفقرة كيف أنّه وجّه الخطاب إلى غالبية المسلمين «أي السنّة» فطعنهم بداية، ثمّ عاد ليقدّم لهم المثال عمّن يجب أن يتبعوه، أي ولي الأمر نائب الإمام المهدي القائد الطاهر الشجاع الذي يتحدى الأساطيل، والذي أنشأ الشيء الوحيد الذي يرفع الرأس في العالم العربي!!

هذه فقرة نموذجية لطريقة الترويج للولي الفقيه في الوسط العربي والإسلامي السني، وكيف يتم تجيير الدعاية للحزب لتصب في صالح إيران والولي الفقيه.

لكن يبدو أنّ العرب استعصى عليهم فهم الأمر في البداية!!، فأراد الأمين العام أن يفهمهم أنّ التأييد يجب أن يذهب لإيران وللولي الفقيه تحديدًا، وليس لشخصه ولا لحزبه، وقد تجلى ذلك بشكل لا يقبل الشك ولا الطعن عندما قام بتقبيل يد الإمام الخامنئي أمام الشاشات العالمية التي كانت تنقل الحدث.

ففي الجلسة الأولى للمؤتمر الدولي لدعم الانتفاضة «الذي أقيم في طهران في نيسان ٢٠٠١م»، والذي تمّ افتتاحه بكلمة للولي الفقيه مرشد الثورة الإيرانية علي الخامنئي، وفور انتهائه منها، تنحّى حسن نصر الله من مكانه وتوجّه نحو القائد الولي الفقيه علي الخامنئي، ثمّ قبّل يده. يقول رئيس تحرير جريدة جمهوري إسلامي «مسيح مهاجري» الملقّب حجة الإسلام والمسلمين: بعد يومين، توجهتُ للقاء سماحة السيد نصر الله حيث حاورته، وسألته عن السبب الذي دفعه في جلسة رسمية كهذه إلى الانحناء أمام قائد الثورة وتقبيل يده. فقال لي: «لقد تعمّدتُ هذا الأمر.... وسبب ذلك أن وسائل الإعلام العالمية اعتبرتني هذه السنة «رجل العام»، وفي البلاد العربية أطلقوا عليَّ عنوان «أكثر قادة العالم العربي نجاحًا»، الأمر الذي لم يَسُرَّني. لكن في هذه الجلسة المهمة التي حضرها جمعٌ من زعماء الحركات الإسلامية والشخصيات السياسية للدول الإسلامية، وحيث كانت تُبَث وقائع الجلسة مباشرة في دول العالم، أقدمتُ على ذلك لأقول لكل الذين يعرفوني: أنا جنديٌّ قائد الثورة». (٣٤)

لقد أزعج حسن نصرالله أن يتم وصفه بـ «أكثر قادة العالم العربي نجاحًا». نعم، فهو لا يعمل لكي يوصف بذلك، هو يعمل لكي يتم وصف الولي الفقيه وإيران، لذلك يقول لقد تعمّدت الأمر!! أي أنّه أراد تصحيح فهم هؤلاء العرب الذين لا يزالون يفرقون بينه وبين تبعيته للولي الفقيه.

لولا رجل اسمه روح الله الموسوي الخميني لما كان للمقاومة وجود في لبنان، وبعده لولا رجل اسمه علي الحسيني الخامنئي لما استمرت المقاومة

ولعلّ هذا الترويج الإعلامي لإيران والولي الفقيه لقي قبولاً واسعًا ونجاحًا باهرًا في الوسط العربي والإسلامي، ولا أغالي إن قلت: إن الحزب ككل بجميع أذرعه العسكرية والسياسية والاجتماعية ومؤسساته وكوادره وقياداته عبارة عن مؤسسة إعلامية ودعائية ضخمة وهائلة، وقد تكون من أنجح المؤسسات الدعائية في العالم على الإطلاق.

والاستثمار المالي والمادي والمعنوي والديني الإيراني في هذه المؤسسة الدعائية هو خيار صائب لها، بل هو الخيار الأنجح في نقل الثورة الإسلامية

إلى الخارج، وفي اختراقها للقاعدة الشعبية الإقليمية؛ إذ تقوم هذه المؤسسة باستخدام الخطاب المموّه للوصول إلى الأهداف دون أن يتم إثارة الموضوع بشكل صدامي، بل بكل هدوء.

يقول آية الله الخميني متحدثًا عن أهمية العمل الدعائي والإعلامي في إسقاط الخصم أو اختراقه: «.. ويعتبر العمل الدعائي أول أنشطتنا في هذا الطريق -أي الحكومة الإسلامية-، فيجب أن نتقدم من خلال العمل الإعلامي، ففي جميع أنحاء العالم كان الأمر كذلك على الدوام ...؛ إذ يلتقي عدة أشخاص ويفكرون في الأمر، ثم يقررون ويقومون بعد ذلك بالعمل الدعائي، فيزدادون شيئًا فشيئًا، إلى أن ينتهي الأمر بأن يصيروا قوة نافذة في حكومة كبيرة، أو يحاربونها، ومن ثَم يُسقطونها». (٣٥)

«لا نهاية لتأثير وسائل الإعلام، وإنّ إصابتها كالقذيفة تمامًا، فاستخدِمْها لتحقق أهدافك». (٣٦)

ولا شك أن الوسائل الإعلامية هذه تعمل في ترويج «كل» الحزب: عقائده، أفكاره، سياسته، أفراده، وفي غالب الأحيان يكون هذا الترويج مصحوبًا بمساحيق وأدوات تجميل، فلا يظهر من الحزب وعقيدته وتوجهه إلا ما هو حسن أو «مُحَسّن»، كما سعى الحزب إلى غزو الوسائل الإعلامية العامة غير التابعة له، من محطات فضائية وصحف ومجلات ودوريات، ... يقول وضاح شرارة في هذا الإطار: «تتوسل الحركة الخمينية إلى الدعوة والتعبئة بنشاط إعلامي كثيف ومنظم». (٣٧)

الخداع الذي يُمارس من قبل حزب الله على نطاق واسع أحد أهم أسباب نجاحه هو جهل «الآخر» بالطرق الصحيحة للحكم على الأمور. فعندما تريد أن تحكم على أمر لا بد وأن تقرأ عنه، ومن الأفضل بطبيعة الحال أن تكون القراءة عن المصدر الأساسي نفسه كما هو معروف، لكننا في الوطن العربي بدلاً من أن ندرس مثلاً ظاهرة حزب الله من خلال الكتابات الخاصة لقادة الحزب والقيميين عليه، ومن خلال النزول على الأرض وتفحّص المنشورات والحسينيات، والمجتمع الذي يعيش فيه الحزب، وهل هو مطابق لما يقوله للعامة أم متناقض معه؟ نقوم بإهمال كل ذلك ونفعل العكس؛ إذ ننتظر خطبة للأمين العام لحزب الله أو نفتح قناة المنار، وننتظر الخبر ثمّ نقول ها انظروا: إنه حزب غير طائفي، وإنه حزب مجاهد وإنه وإنه.... ونقع في الفخ المنصوب.

فالخطاب عندما يبث إلى ملايين الناس يكون خطابًا مدروسًا، وهدفه الأساسي أن يقع مثل هؤلاء المغفلين في هذه الحفرة «مثال تقبيل يد الخامنئي»، فعندما تفتح تلفزيون المنار لا تتوقع أن يكون هناك طعن بالآخر؛ لأنّ هذه القناة على سبيل المثال موجَّهَة للآخر، فكيف سيشاهدها الجمهور الذي تستهدفه إذا كانت ستطعن به!!

فالحزب بارع في استخدام الشيء للطعن بضدّه، فعلى سبيل المثال إذا ما أراد أحدهم كشف وجهه الطائفي عاجله الرد «إنّنا متحالفون مع المقاومة الفلسطينية السنيّة، فكيف نكون طائفيين؟!». فَهُم بهذه الطريقة ينفون عن أنفسهم الطائفية ويلزمونها للسائل، وفي نفس الوقت يحظون بدعاية إعلامية واسعة من خلال الالتصاق بالمقاومة الفلسطينية. وقد صرّح المفتي الجعفري لصور وجبل عامل السيد «علي الأمين» صراحة دون مواربة، على أنّ العلاقة بين حزب الله وبين الفلسطينيين -وخاصة حماس «السنيّة»- ليست دليلاً قاطعًا على عدم طائفية الحزب، فالتحالف سياسي، والثقافة على الأرض، والقواعد هي ثقافة قريبة من المذهبية». (٣٨)

كما تتوافر لدى كوارد الحزب الإعلامية «وحدات إعلامية خاصة بالتلاعب النفسي» تزيد من أهمية سلاح حزب الله الإعلامي يقول الشيخ الشيعي حسن الصفّار: «وفي الإطار المذهبي فإن المقاومة لا تخفي تشيعها، لكنها لا تطرح التشيّع من زاويته الحادّة، ويمكننا أن نلاحظ هذه النقطة بجلاء في خطابات أمين

عام حزب الله سماحة السيد حسن نصر الله ـ حفظه الله ـ حينما يحاضر في ليالي عاشوراء، حيث يعرض قضية أهل البيت عليهم السلام، ويعرض التشيّع بشكل يستقطب المسلمين بجميع أطيافهم ومذاهبهم ... وفي خصوص انتمائها السياسي والفكري، فإن المقاومة تعلن ارتباطها الوثيق بالجمهورية الإسلامية في إيران، وبالمرجعية والقيادة الدينية فيها، ولكن خطابهم خطاب وطني». (٣٩)

ثالثًا: يؤمّن وجود حزب الله بذاته –وكونه مرتبطًا بإيران إلى هذه الدرجة– موطئ قدم للسياسة الإيرانية التي تسعى إلى استغلال مسألة معاداتها «لإسرائيل» دون اصطدامها بها إلى أبعد الحدود على الرغم من بعدها الجغرافي، ويعتبر حزب الله صلة الوصل في الموضوع، ويشكل ورقة عالية للمساومة، على أي وضع من الأوضاع المصيرية التي تتعلق بإيران في أي وقت من الأوقات؛ على اعتبار أنّها تستطيع تفجير الوضع عندما تريد وتهدئته عندما تريد أيضًا. وخير دليل على ذلك من الواقع، فكلّما تندلع جولة من جولات المناكفة تهب الأصوات الإقليمية والدولية للمطالبة بضرورة الاتصال مع إيران بشأن الموضوع!!

تقوم إيران بتأمين السلاح والعتاد الكامل لحزب الله «لمناكفة» إسرائيل؛ وذلك ضمن معادلة داخلية محدودة لا تتجاوز الحصول على مكاسب سياسية وإعلامية بالدرجة الأولى، وما يأتي بعد ذلك فهو فائض. والهدف من ذلك أن يلقى حزب الله شهرة كبيرة في العالم الإسلامي؛ تمهّد الطريق له لتصدير مفاهيم الثورة الإيرانية من تحت البساط ودون أية مشاكل أو حزازيات، وإعطاء ثقل لإيران في المنطقة العربية، والعمل على اختراقها تمهيدًا للسيطرة عليها في المستقبل، واستغلال هذه المسألة من أجل فرض نفسها لاعبًا أساسيًّا.

بل إن هذا الدور الذي تقوم به إيران عبر حزب الله أصبح مكشوفًا للجميع بما فيهم الإسرائيليين أنفسهم. في هذا الإطار، يصل أحد أشهر الخبراء في مجال الاستخبارات والباحث في «مركز جافي للدراسات الاستراتيجية في جامعة تل أبيب» الدكتور «افرايم كام» في كتاب ألّفه بتكليف من وزارة الدفاع التي أصدرته ونشرته فيما بعد في العام ٢٠٠٤، ويشمل عرضًا لكثير من الوثائق التي ترصد تطور القوة العسكرية الإيرانية، فضلاً عن الاستغراق في تحليل الدوافع الكامنة خلف الاستراتيجية التي تتبعها الجمهورية الإسلامية، وهو يستند إلى ألف ومائتي مرجع ووثيقة، إلى قناعة مفادها «أن إيران من ناحية عملية لا تعتبر «إسرائيل» العدو الأول لها، ولا حتى الأكثر أهمية من بين أعدائها». فبحسب افرايم كام، فإنه «على الرغم من الخطاب السياسي الإيراني المناكف «لاسرائيل» إعلاميًّا، إلا أن الاعتبارات التي تحكم الاستراتيجية الإيرانية ترتبط بمصالحها ووضعها في الخليج وليس بعدائها لإسرائيل، وهي تبدي حساسية كبيرة لما يجري في دول الجوار، وخاصة في العراق». (٤٠)

إنّ استهداف إيران «لإسرائيل» عبر الخطاب الإعلامي هدفه كسب مزيد من المؤيدين لها في المنطقة، وهو مجرد ذريعة لتحقيق أهدافها!!

وقد جاء تقرير نشره معهد قيام «omedia» البحثي الإسرائيلي ليؤكد فيما بعد على أنّ استهداف إيران لإسرائيل عبر الخطاب الإعلامي هدفه كسب مزيد من المؤيدين لها في المنطقة، وهو مجرد ذريعة لتحقيق أهدافها !!

يقول تقرير معهد «omedia» البحثي الإسرائيلي الذي جاء بعنوان «إيران في حاجة لإسرائيل» للباحث «زيو مائور»: «إن إيران لا تشكل أيّ خطر على «إسرائيل»، ولا تريد تدميرها، بل هي في حاجة «لإسرائيل»، وتعتبرها مكسبًا استراتيجيًّا هامًّا حتى تظل قوة عظمى في المنطقة، وهي تستغل وتستخدم

«إسـرائيل» كذريعة لتحقيق أهدافهـا، ولدعم مكانتها الإقليمية، ولنشـر مبادئ الثورة الإيرانية تحت شـعار «معاداة إسـرائيل» ، ويضيف التقرير بأنّ التصريحات الدعائية الإيرانيـة ضد الولايات المتحـدة الأمريكية هي من باب الاستهلاك الإعلامي فقط».(٤١)

خاتمة:

المشـروع الإقليمـي الإيراني، مشـروع لا يختلف في أي وجه من أوجه أهدافه عن أية مشـاريع خارجية يتـم تطبيقها في منطقتنـا؛ بغض النظر عن مسـمياتها «صهيونية، أمريكية، استعمارية، استغلالية، استعبادية، توسّعية...إلخ»، كلها تسعى إلى نفس النتائج، ولذلك فلن نجد صعوبة إذا قارنّا أهداف مثل هذه المشـاريع بأهداف المشـروع الإيراني، الفـارق الوحيد بين هذه المشـاريع هو الأسـلوب والأدوات، وقـد عالجناها في البحث بما لا يترك مجالاً للشـك عن نوايا إيران، وطريقـة عمـل أدواتهـا بمن فيهـم حزب اللـه، وهو ما من شـأنه أن يسـاعدنا بأن لا نخطـئ، ونعيد الخطأ الـذي لطالما كرّرناه -منذ الثورة العربية الكبرى وإلى اليـوم- وهـو أن نقع في أحضان هذا المشـروع تارة، وذاك المشـروع طـورًا معتقدين أنّـه المخلّص، وأنّ الدافـع حمايتنـا أو تعزيز مقوماتنا أو مسـاعدتنا. هذا ما هو حالنا عليـه، والبوصلة تائهة، ولا يتجاوز دورنا إلاّ التصفيق لهذا الحزب أو تلك الدولة. المسـؤولية تقـع علـى عاتـق الجميـع، وقد حـان الوقـت لتغيير المنهج والأسـلوب والأدوات، وبالتالي عدم الوقوع في الأفخـاخ المنصوبـة، والاعتماد علـى الذات في مواجهة المشـاريع التي كثرت، والتي تسهدفنا بشكل أساسي، وذلك قبل فوات الأوان.

الهوامش :

(١) انظر مقالنا: وماذا عن المشروع الشرق أوسطي الإيراني وأدواتـه؟، علي حسين باكير، صحيفة السياسة الكويتية، ١٨/٨/٢٠٠٦.

(*) التسمية الأفضل برأيي لهذا المشروع هو الهلال الصفوي أو الفارسي؛ لأننا عندما نسميه الهلال الشيعي، فنحن نختزل الصراع الذي سيظهر قريبًا بين جزء من الشيعة العرب الذي يرفضون ولاية الفقيه وإيـران، وبين إيـران نفسها؛ بسبب تضارب المصالح والتنافس على الزعامة والمرجعية، وأيضًا بسبب الاختلاف في بعض الخصوصيات، وبهذا نكون قد قدمنا خدمة جلية لإيران عندما نعتبر جميع الشيعة في سلتها.

(٢) نفس المرجع السابق.

(٣) قامت إيران في العام ٢٠٠٣ بطرح وثيقة سريّة على الولايات المتحدة الأمريكية بموافقة علي الخامنئي، يمكن مراجعة مقال المؤرخ الأمريكي جارثر بورتر للاطلاع بالتفصيل على طبيعة الوثيقة والعرض الإيراني، والخدمات الجليلة التي قدمتها إيران للولايات المتّحدة في غزو أفغانستان والعراق.
Burnt Offering، Gareth Porter، The American Prospect magazine، 6/6/2006 .

(٤) انظر أيضًا: الصفقة الكبرى: إيران تفجّر المنطقة طائفيًا بين لبنان والعراق، علي حسين باكير، الإسلام اليوم، ٢٤/ ١٢/ ٢٠٠٦ على الرابط التالي:
www.islamtoday.net/articles/show_articles_content.cfm?id=72&catid=76&artid=8427

(٥) للمزيد انظر: النفاق الإيـراني تجاه العرب والمسلمين.. الخليج العربي مؤامرة صهيونية، علي حسين باكير، على الرابط التالي:
www.islammemo.cc/article1.aspx?id=4883

(٦) راجع: البيان التأسيسي للحزب ١٦ شباط ١٩٨٥.

(٧) انظر: آية الله الخميني، «الحكومة الإسلامية» ، النسخة الإلكترونية ص٢٤.

(٨) راجع: مقال السلطة المدنية والاعتقاد بولاية الفقيه المطلقة، وجيه كوثراني، صحيفة النهار اللبنانية، ٣/ ١١/ ٢٠٠٦.

(٩) انظر: نفس المرجع السابق، نقلاً عن كتاب: حزب الله المنهج .. التجربة ... المستقبل، للشيخ نعيم قاسم، ص٧٥.

(١٠) انظر دراسة: سلطة الولي الفقيه خارج حدود بلده، الشيخ محمد تقي مصباح يزدي، على الرابط التالي:
www.icde.net/library/maghalat/ar/011.htm

(١١) راجع: «حزب الله: المنهج...التجربة...المستقبل» ، الشيخ نعيم قاسم، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٢، ص٧٦.

(١٢) نفس المرجع السابق، ص٢٦٧-٢٧٣.

(١٣) نفس المرجع السابق، ص٢٧٣.
(١٤) انظر: صحيفة المستقبل، الأربعاء ٢٩ تشرين ثاني ٢٠٠٦، العدد ٢٤٦٠، ص٤.
(١٥) خطاب عاشوراء، حسن نصر الله، ص٦٣. انظر: القائد السيد نصر الله وقائده الولي الفقيه، «شبكة البتول عليها السلام» ، على الرابط التالي:
www.albatoul.net/portal/index.php?show=news&action=article&id=189
(١٦) صحيفة المستقبل اللبنانية، العدد ٢٣٨٦، الخميس ١٣ / ٩/ ٢٠٠٦، ص٥.
(١٧) للاستزادة راجع كتاب: عبد الله الغريب، «أمل والمخيمات الفلسطينية»،لنسخة الإلكترونية.
(١٨) نفس المرجع السابق.
(١٩) نفس المرجع السابق.
(٢٠) نهاد حشيشو، «الأحزاب في لبنان»، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، بيروت، ط١، ١٩٩٨، ص٣٢.
(٢١) نفس المرجع السابق، ص٣٣.
(٢٢) صحيفة النهار اللبنانية، ٥/ ٣/ ١٩٨٧.
(٢٣) انظر مقال: تجربة المقاومة الإسلامية على ضوء ثورة الإمام الخميني، حبيب فياض، دار الولاية للثقافة والإعلام على الرابط التالي: http://alwelayah.net
(٢٤) انظر: رؤية في حاضر ومستقبل حزب الله اللبناني، علي حسين باكير، مجلة البيان، العدد ٢٢٣، يناير ٢٠٠٦، ص٧٤.
(٢٥) صحيفة السفير اللبنانية، ١٢/ ١/ ١٩٩٣.
(٢٦) راجع: نشأة حزب الله وظهوره، مفكرة الإسلام على الرابط التالي:
http://www.islammemo.cc/article1.aspx?id=2579
(٢٧) نفس المرجع السابق.
(٢٨) صحيفة النهار اللبنانية، ١١/ ١/ ١٩٨٤.
(٢٩) راجع: خطاب عاشوراء، حسن نصر الله، ص ٥٩-٦١. عن مقال: «من مواصفات ولي أمر المسلمين آية الله العظمى الإمام القائد الخامنئي، دام ظله»، حسن نصر الله، دار الولاية للثقافة والإعلام، على الرابط التالي:
http://alwelayah.net/index.php?f=doc&s=khamenie&r=derasat&id=41
(*) عائلة الأسعد، عائلة شيعية لها مكانتها التاريخية في لبنان؛ بحيث كانت تتزعم الطائفة الشيعية سياسيًا لفترة طويلة، خاصة من جهة الإقطاع.
(٣٠) انظر صحيفة السياسة الكويتية، ٢٦/ ٩/ ٢٠٠٦.
(٣١) نفس المرجع السابق.
(٣٢) خطاب عاشوراء ، مرجع سابق، ص٥٩-٦١.
(٣٤) قائد جندي القائد، مجلة بقية الله، ٢٨/ ٦/ ٢٠٠٥. وشبكة الفجر الثقافية، نقلاً عن مجلة بقية الله الشيعية على الرابط التالي:
www.walfajr.net/artc.php?id=663
(٣٥) راجع كتاب: الحكومة الإسلامية، مرجع سابق، ص٧٩.
(٣٦) البند رقم ١١ من مبادئ القتال لدى حزب الله، انظر كتاب: حقيقة المقاومة، عبد المنعم شقيق، النسخة الإلكترونية.
(٣٧) نفس المرجع السابق.
(٣٨) برنامج نقطة نظام مع علي الأمين، الجمعة ٨/ ٩/ ٢٠٠٦.
(٣٩) انظر مقال: خطاب المقاومة، حسن الصفّار، ٢٠/ ٨/ ٢٠٠٦، على الرابط التالي:
www.saffar.org/?act=artc&id=1020
(٤٠) انظر مقالنا: أسطورة الضربة الإسرائيلية العسكرية لإيران، علي حسين باكير، مجلة آراء حول الخليج، مركز الخليج للأبحاث، العدد ٢٤/ ٩/ ٢٠٠٦، ص٨٣.
(٤١) نفس المرجع السابق.

معلومات إضافية

نشأة حزب الله وتطوره:

ظروف النشأة:

سبق الوجود التنظيمي لحزب الله في لبنان، والذي يُؤَرَّخ له بعام ١٩٨٢، وجود فكري وعقائدي يسبق هذا التاريخ، هذه البيئة الفكرية كان للشيخ حسين فضل الله دور في تكوينها من خلال نشاطه العلمي في الجنوب. وكان قيام الثورة الإسلامية في إيران عام ١٩٧٩ بقيادة آية الله الخميني دافعًا قويًّا لنمو حزب الله؛ وذلك للارتباط المذهبي والسياسي بين الطرفين.

وقد جاء في بيان صادر عن الحزب في ١٦ فبراير/ شباط ١٩٨٥ أن الحزب «ملتزم بأوامر قيادة حكيمة وعادلة تتجسد في ولاية الفقيه، وتتجسد في روح الله آية الله الموسوي الخميني مفجر ثورة المسلمين، وباعث نهضتهم المجيدة».

معظم أفراد الحزب هم من اللبنانيين الشيعة المرتبطين مذهبيًّا بإيران، حيث يعتبرون آية الله علي خامنئي مرشد الثورة الإيرانية واحدًا من أكبر المراجع الدينية العليا لهم، ويعتبر الشيخ حسن نصر الله الأمين العام لحزب الله الوكيل الشرعي لآية الله علي خامنئي في لبنان. هذا الارتباط الأيديولوجي والفقهي بإيران سرعان ما وجد ترجمته المباشرة في الدعم السريع والمباشر من الجمهورية الإسلامية، وعبر حرسها الثوري للحزب الناشئ.

البناء التنظيمي:

رغم عامل السرية الذي يحرص الحزب عليه في أغلب نشاطاته، فإن ذلك لم يمنعه من الإعلان عن وجود بعض الهياكل التنظيمية التي تنظِّم عمل الحزب، منها على سبيل المثال:

- هيئة قيادية.
- مجلس سياسي.
- مجلس تخطيطي.
- كتلة النواب.
- مجموعات تنفيذية.
- هيئات استشارية.

ويُتَّخذ القرار داخل تلك الهيئات بأغلبية الأصوات، ويُعتبر مجلس شورى الحزب أعلى هيئة تنظيمية؛ حيث يتكون من ١٢ عضوًا تسند إليهم مسؤولية متابعة أنشطة الحزب الأخرى الاقتصادية والاجتماعية.

حزب الله وإيران:

العلاقة بين حزب الله وإيران يتداخل فيها البعد السياسي والديني، فاللبنانيون الشيعة الذين يمثلون كوادر حزب الله تربطهم بالمرجعيات الدينية الإيرانية روابط روحية عميقة، ويعتبر مرشد الثورة الإيرانية آية الله علي خامنئي أكبر مرجعية دينية بالنسبة لهم. ويسمى أمين عام حزب الله حسن نصر الله الوكيل الشرعي لآية الله خامنئي.

الحزب والحياة السياسية:

لحزب الله حضور في الحياة السياسية اللبنانية منذ توقيع اتفاق الطائف عام ١٩٩٠، الذي أيَّده مع التحفظ على بعض بنوده، وقد فاز في أول انتخابات برلمانية يشارك فيها في عام ١٩٩٢ بـ١٢ مقعدًا، وهو أكبر عدد من المقاعد تفوز به كتلة حزبية منفردة. كما شارك في انتخابات عام ١٩٩٦، ويمثله حاليًا ثمانية نواب. ويسعى إلى تشكيل قوة ضغط سياسية، ولذلك فللحزب حضور ومشاركة في انتخابات النقابات، وبخاصة نقابتي المهندسين والأطباء، والاتحادات الطلابية والمهنية والعمالية.

حزب الله.. النشأة والتطور، محمد عبد المعطي، المعرفة، الجزيرة نت (بتصرف)، ٧/ ٥/ ٢٠٠٦.
http: / /www.aljazeera.net

موقف (حزب الله) من مشاريع المقاومة الإسلامية

أولاً: الجبهة الشيشانية:

من المعروف أنّ الجبهة الشيشانية من أشد الجبهات اشتعالاً؛ إذا ما تمّ قياس ذلك نسبة إلى المدى الزمني للمعركة (الحديثة) التي تجري فيها منذ تشرين أول من العام ١٩٩١، وهو التاريخ الذي أعلن فيه الزعيم الشيشاني جوهر دوداييف قيام جمهورية الشيشان المستقلة عن روسيا، ومن ثمّ في ١١ كانون أول ١٩٩٤ تاريخ غزو القوات الروسية لجمهورية الشيشان المستقلة. وعلى الرغم من مرور أكثر من ١٥ سنة على الحرب التي يخوضها المجاهدون الشيشان في سبيل استقلالهم ضدّ الغزو الروسي، إلاّ أنّ خطابات وأدبيات حزب الله اللبناني تخلو كليًّا، وبشكل كامل من أيّ إشارات أو دلالات أو إسناد شرعي باسم الدين الإسلامي أو حتى معنوي باسم

المظلومين، المقهورين أو المستضعفين في الأرض. (وهو الشعار الدارج جدًّا عند الجمهورية الإسلامية الإيرانية وحزب الله اللبناني).

ثانيًا: الجبهة العراقية:

بدأ حزب الله باستغلال النقمة العالمية الأمريكية على ما يسمى «الإرهاب» خاصة في العراق؛ ليقوم هو بتزكية نفسه أمام الإدارة الأمريكية، فأصدر العديد من البيانات في مراحل مختلفة، يدين فيها قتل الأمريكيين في العراق، ويؤكّد على أنّ هذا يضر بالإسلام والمسلمين، غير ملتفت أو مهتم لأمر الإسلام والمسلمين حين يتعرضون لحملات إبادة أمريكية عندما يكون بالفلوجة أو الرمادي أو تلعفر أو غيرهم!!

فقد قال الأمين العام لحزب الله في تصريح له: «اليوم العمليات التي تستهدف العراقيين في العراق ـ بحسب معلوماتي وليس تحليلاً ـ بعض العمليات التي تستهدف المدنيين في أغلب المناطق العراقية تقوم بها جهات من بينها جهات صدّاميّة التي ترى في قتل الناس وعموم العراقيين طريقة لإرهابهم وإرعابهم لإخراجهم من الساحة .... هناك مجموعة أخرى (...)، الجماعات التكفيرية التي لا تكفر الشيعة وحدهم، بل كثيرًا من السنة، بل تكفر بعضها وتكفر من عداها، فهي المسلمة والمؤمنة وحدها. هذه المجموعات تمارس عمليات قتل ذريعة وواسعة في العراق» .

ثم استدرك قائلاً -كي لا يقع عليه الحرج-: «وهناك عمليات استهدفت المدنيين يديرها جنرالات وضباط أمريكيون مباشرة في مراكز الاحتلال الأمريكي، أضف إلى الخطوط النفوذية والجاسوسية المفتوحة على الجماعات الأولى التي تحدثنا عنها» .

إنّ موقف حزب الله لم يتوقف عند باب عدم الاعتراف بشيء اسمه مقاومة عراقية، بل تخطّاه إلى مهاجمتها بنفس الكلام والسياق الأمريكي والإسرائيلي وعملائهم في العراق، الذين دخلوا على ظهر الدبابة الأمريكية.

لقد كان الحزب يستتر عندما يتم إحراجه بموضوع المقاومة في العراق وأفغانستان خلف أجوبة هلامية عامية فضفاضة؛ لا يفهم منها الحق من الباطل، وتنطبق على الصالح كما على الطالح، إلى أن جاء خطابه الشهير في ذكرى الإمام الكاظم الذي تزامن مع حادثة جسر الأئمة في بغداد؛ حيث صنّف السيد حسن المقاومة العراقية -أمام حشد هائل من الجمهور والكاميرات والنقل التلفزيوني- بين: «صدّامي بعثي، وتكفيري إرهابي». ثمّ أصبح يردّد منذ احتلال العراق مصطلحات مثل: العراق الجديد، التكفيريين، البعثيين، فلول النظام، الإرهابيين، الانتخابات الحرّة، المقاومة السياسية.

وقد بلغ موقف حزب الله وقيادته المتمثلة بالسيد حسن نصرالله من الخزي والعار إلى درجة تماهيه مع الموقف الأمريكي والإسرائيلي تمامًا، ففي نفس الخطبة يقول: «فليُتَح للشعب

العراقـي أن يعبِّـر عـن رأيه وخيـاره و...، وليُتح للشـعب العراقي أن يختار نوابـه، ولو في ظل الاحتلال؛ لأنّ ذلك وسيلة من وسائل مواجهة الاحتلال!!».

باختصار شديد، وإذا ما عمدنا إلى مقاربة مواقف حزب الله من مشاريع المقاومة الإسلامية في العالم الإسلامي، سنلاحظ ثلاثة مواقف أساسية له هي:

- **الموقـف الأول**: التجاهـل التام والشـامل، واتخـاذ موقف اللامبـالاة تجاه قضايـا جوهرية كالشيشان وأفغانستان، والبوسنة وكشمير.

- **الموقف الثاني**: التهجّم والتطاول، والتشـويه المقصود والعمـدي، والإلغاء كحالة المقاومة العراقية، بل والتماهي مع مواقف المحتل وعملائه.

- **الموقف الثالث**: التأييد والتشجيع «الخطابي» الدائم والعلني للقضية الفلسطينية.

وإذا ما جمعنا هذه الملاحظات مع بعضها نستطيع أن نستنتج أنّ الموقف من القضية الفلسطينية هو موقف مصلحي بامتياز؛ لأنّ المفروض أنّ المبدأ الإسـلامي لا يُجزّئ الاحتلالات؛ خاصة إذا كانت الجهة هي ذاتها (لا فرق بين إسـرائيل وأمريكا). فإذا كان التأييد للفصائل الفلسـطينية الاسـلامية والقضية الفلسطينية تأييدًا عقائديًّا فهذا يفترض تأييد المقاومة العراقية؛ لأنّ الطرفين مسلمين ومن المذهب السنّي، والطرفين أرضهم محتلّة ومقاومتهم مشروعة، والاثنين يواجهان ما يدّعي الحزب أنهم أعداؤه «إسرائيل وأمريكا» .

(راجع كلمة حسن نصر الله بمناسبة «ذكرى الكاظم» بتاريخ ٢/ ٩/ ٢٠٠٥) .